مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Hail

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

السنة السابعة، العدد 24
المجلد الاول، ديسمبر 2024

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

Arcif
Analytics

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة حائل

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788 X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حال كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل "ارسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين -من مختلف بلدان العالم- من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة البحث

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.

2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.

3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دولياً، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصدر المجلة ورقياً حسب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونياً لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط وإجراءات النشر في مجلة العلوم الإنسانية

اولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراه) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانياً: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربية والإنجليزية، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. في حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاً لبحثه.
3. في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل- وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: الضوابط والمعايير الفنية لكتابة وتنظيم البحث

1. ألا تتجاوز نسبة الاقتباس في البحوث (25%).
2. الصفحة الأولى من البحث، تحتوي على عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين، المؤسسة التي ينتسب إليها- جهة العمل، عنوان المراسلة والبريد الإلكتروني، وتكون باللغتين العربية والإنجليزية على صفحة مستقلة في بداية البحث. الإعلان عن أي دعم مالي للبحث- إن وجد. كما يقوم بكتابة رقم الهوية المفتوحة للباحث ORCID بعد الاسم مباشرة. علماً بأن مجلة العلوم الإنسانية تنصح جميع الباحثين باستخراج رقم هوية خاص بهم، كما تتطلب وجود هذا الرقم في حال إجازة البحث للنشر.
3. ألا يرد اسم الباحث (الباحثين) في أي موضع من البحث إلا في صفحة العنوان فقط.

4. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ثلاثين صفحة أو (12.000) كلمة للبحث كاملا أيهما أقل بما في ذلك الملخصان العربي والإنجليزي، وقائمة المراجع.

5. أن يتضمن البحث مستخلصين: أحدهما باللغة العربية لا يتجاوز عدد كلماته (200) كلمة، والآخر بالإنجليزية لا يتجاوز عدد كلماته (250) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.

6. يُتبع كل مستخلص (عربي/إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) (Key Words) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.

7. تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة: من الجهات الأربعة (3) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.

8. يكون نوع الخط في المتن باللغة العربية (Traditional Arabic) وبحجم (12)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman) وبحجم (10)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط الغليظ. (Bold).

9. يكون نوع الخط في الجدول باللغة العربية (Traditional Arabic) وبحجم (10)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman) وبحجم (9)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط الغليظ (Bold) ..

10. يلتزم الباحث برومنة المراجع العربية (الأبحاث العلمية والرسائل الجامعية) ويقصد بها ترجمة المراجع العربية (الأبحاث والرسائل العلمية فقط) إلى اللغة الإنجليزية، وتضمينها في قائمة المراجع الإنجليزية (مع الإبقاء عليها باللغة العربية في قائمة المراجع العربية)، حيث يتم رومنة (Romanization / Transliteration) اسم، أو أسماء المؤلفين، متبوعة بسنة النشر بين قوسين (يقصد بالرومنة النقل الصوتي للحروف غير اللاتينية إلى حروف لاتينية، تمكِّن قراء اللغة الإنجليزية من قراءتها، أي: تحويل منطوق الحروف العربية إلى حروف تنطق بالإنجليزية)، ثم يتبع بالعنوان، ثم تضاف كلمة (in Arabic) بين قوسين بعد عنوان الرسالة أو البحث. بعد ذلك يتبع باسم الدورية التي نشرت بها المقالة باللغة الإنجليزية إذا كان مكتوباً بها، وإذا لم يكن مكتوباً بها فيتم ترجمته إلى اللغة الإنجليزية.

مثال إيضاحي:

الشمري، علي بن عيسى. (2020). فاعلية برنامج إلكتروني قائم على نموذج كيلر(ARCS) في تنمية الدافعية نحو مادة لغتي لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل،1(6)، 98-87.

Al-Shammari, Ali bin Issa. (2020). The effectiveness of an electronic program based on the Keeler Model (ARCS) in developing the motivation towards my language subject among sixth graders. (in Arabic). Journal of Human Sciences, University of Hail.1(6), 98-87

السميري، ياسر. (2021). مستوى إدراك معلمي المرحلة الابتدائية للإستراتيجيات التعليمية الحديثة التي تلبي احتياجات التلاميذ الموهوبين من ذوي صعوبات التعلم. المجلة السعودية للتربية الخاصة، 18(1): 19- 48.

Al-Samiri, Y. (2021). The level of awareness of primary school teachers of modern educational strategies that meet the needs of gifted students with learning disabilities. (in Arabic). The Saudi .Journal of Special Education, 18 (1): 19-48

11. يلي قائمة المراجع العربية، قائمة بالمراجع الإنجليزية، متضمنة المراجع العربية التي تم رومنتها، وفق ترتيبها الهجائي (باللغة الإنجليزية) حسب الاسم الأخير للمؤلف الأول، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.

12. تستخدم الأرقام العربية أينما ذكرت بصورتها الرقمية. (Arabic.... 1,2,3) سواء في متن البحث، أو الجداول و الأشكال، أو المراجع، وترقم الجداول و الأشكال في المتن ترقيماً متسلسلاً مستقلاً لكل منهما ، ويكون لكل منها عنوانه أعلاه ، ومصدره – إن وجد – أسفله.

13. يكون الترقيم لصفحات البحث في المنتصف أسفل الصفحة، ابتداءً من صفحة ملخص البحث (العربي، الإنجليزي)، وحتى آخر صفحة من صفحات مراجع البحث.

14. تدرج الجداول والأشكال- إن وجدت- في مواقعها في سياق النص، وترقم بحسب تسلسلها، وتكون غير ملونة أو مظللة، وتكتب عناوينها كاملة. ويجب أن تكون الجداول والأشكال والأرقام وعناوينها متوافقة مع نظام APA.

رابعًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

خامسًا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشره (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهه أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشره في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراه.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية كما هو في دليل الكتابة العلمية المختصر بنظام APA7.

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).

3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.

4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (WORD) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.

5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.

6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك

7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.

8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة **(1000)** ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمسة أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغيًا.

9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع، ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكِّمين اثنين؛ على الأقل.

10. فـي حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.

12. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث

13. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم.

14. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.

15. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.

16. لا تردّ البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر

17. ترسل المجلة للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.

18. لهيئة تحرير المجلة الحق فـي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّيّاً.

مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد السيف

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش
أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عيد المطيري
أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري
أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني
أستاذ الإدارة

د. ياسر بن عايد السميري
أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي
أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د.نوف بنت عبدالله السويداء
أستاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري
أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان
سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ. د. فهد بن سليمان الشايع
جامعة الملك سعود - مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ. د. محمد بن مترك القحطاني
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - علم النفس

أ. د. علي مهدي كاظم
جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان - قياس وتقويم

أ. د. ناصر بن سعد العجمي
جامعة الملك سعود - التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د. حمود بن فهد القشعان
جامعة الكويت - الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د. رقية طه جابر العلواني
جامعة البحرين - الدراسات الإسلامية

أ.د. سعيد يقطين
جامعة محمد الخامس - سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د. سعد بن عبد الرحمن البازعي
جامعة الملك سعود - الأدب الإنجليزي

أ.د. محمد شحات الخطيب
جامعة طيبة - فلسفة التربية

مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

المرجعي والتّخييلي في رواية الجسّاس لعبير الرمّال

Referential and Imaginative in Al-Jassas's novel, by Abeer Al-Rimal

د. أسماء بنت عوض الجميعي [1]

[1] أستاذ البلاغة والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية.

https://orcid.org/0009-0003-8204-2473

Dr. Asma Awad ALjemaey [1]

[1] Professor of Rhetoric and Criticism, Arabic Language Department, College of Arts, Taif University, Kingdom of Saudi Arabia.

(قُدم للنشر في 28/ 09/ 2024، وقُبل للنشر في 2024/12/15)

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى الإسهام في مقاربة النّتاج الأدبي السعودي المعاصر انطلاقا من رصد التّعالق بين المرجعين: التاريخيّ والإبداع التخييلي، وينصبّ النّظر على رواية الجساس لعبير الرمّال، لكونها سعت إلى استنطاق وقائع تاريخ الدولة السعودية الأولى، ثمّ لأننا توسمنا فيها دافعا آخر هو توسّل الرواية لغة خيالية فنية تنسجم مع تصوّرنا للموضوع المطروح، إذ الرواية نزّاعة إلى تبنّي جملة من القضايا السياسية والتاريخية في قالب سردي يليق بالإبداع الروائيّ. ولما كان التّاريخ عملا نفعيّا من جهة التّعريج على كبريات القضايا المرجعيّة في مكان مّا، وكانت الرّواية عملا جماليا تخييليّا بالأساس، فإنّه يحسن الإشارة إلى صعوبة الجمع بين البعدين عند المبدع، غير أنّ المبدع ههنا يستطيع استثمار ما أتيح له من معطيات تاريخيّة على مستوى الأزمنة، أو الأمكنة أو الشّخصيات وغيرها، فيوظفها توظيفا إبداعيا. وقد ناقش البحث الموضوع عبر مدخل ومحورين، كان المدخل للتعريف بمصطلحي المرجعي والتخييلي وفق التداول النّقدي. وخُصّص المحور الأوّل للكشف عن تجليّات المرجعيّ في رواية الجسّاس واقتصر فيه على الثالوث التالي: الأمكنة والأزمنة والشخوص، ثمّ خُصِّص المحور الثاني لإظهار تجلّيات التّخييليّ في الرواية في ذلك الثالوث المذكور آنفا. أبرز النتائج: قدرة الروائيّة على عرض الأحداث التاريخيّة انطلاقا من شخصيّة جبير الخياليّة. ولقد أسهم هذا الإجراء في تقريب الملامح الكبرى لتلك الحقبة من وعي المتلقّي.

الكلمات المفتاحية: المرجعيّ، التّخييلي، الجساس، الشخصيّة، العوالم الممكنة.

Abstract

This study aims to contribute to the approach of contemporary Saudi literary production based on monitoring the relationship between the historical reference and the creative imaginative in Al-Jassas's novel, Abeer Al-Rimal, as a novel that sought to interrogate modern Saudi history using an artistic imaginative language. The novel, therefore, aspires to raise a number of political and historical issues in a narrative form.This research came to discuss this topic through an introduction and two axes. The introduction was a framing of the issue in terms of standing at the terms referential and imaginary as they were addressed by criticism. The first axis was devoted to revealing the manifestations of the referential in Al-Jassas's novel, and we limited ourselves to the following the folds: places, times, and characters. The second axis came to show the manifestations of the imaginary in the novel in that trinity established in the previous transformation, and we mean by it places, times, and characters this time, due to our awareness of the differences between the person and the in the novel.The study reaches several noticeable results among which is: the ability of the novelist to present the historical events of the Saudi state based on the fictional character of Jubeir. This procedure contributed to bringing the major features of that era closer to the recipient's awareness.

Keywords: Referential, Imaginative, Al-Jassas's, Character, Possible worlds.

للاستشهاد: الجميعي، أسماء بنت عوض. (2024). المرجعي والتّخييلي في رواية الجسّاس لعبير الرمّال. مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل، 01 (24).

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث.

Funding: There is no funding for this research..

مقدمة

تعدّ الرواية التاريخية نوعا من أنوع الروايات الحديثة التي تهتمّ بالأخبار والأحداث التاريخية في حقبة تاريخيّة مّا بطريقة فنيّة، وهي إلى جانب ذلك تُعدُّ عملا سرديا ركيزته الأحداث التاريخيّة، يستثمره الراوي لتأسيس عالم أدبي متخيّل (الحمود، 1434) ومن هذه الروايات التاريخية السعودية رواية الجساس لعبير الرمّال؛ وهي رواية امتزج فيها الواقع بالخيال. وقُدّم فيها تاريخ الدولة السعودية الأولى وأحداث سقوط الدرعية. ويأتي الاهتمام بالرواية ضمن مبادرة «تاريخنا قصة» التي أطلقتها دارة الملك عبد العزيز (دارة الملك عبد العزيز، 2021).

وتتميز الروايات التاريخية «بكونها تعلن استنادها إلى حوادث ماضية دوّنها السابقون، ومن ثمّ فإنها تستمد وجودها من الدوران حول هذا النص أو النصوص الماضية ممّا يكشف صلتها بهذه الوقائع، ويضفي على عالمها صبغة مرجعية واضحة» (القاضي، 2008، ص. 119). فالمعطيات الموضوعية التاريخية وإن كانت خارجية عن العمل الروائي، إلا أن الروائي يجتهد في استثمارها ليبدع في الثابت من المسرود التاريخي، لذلك سعت هذه الدراسة إلى الإجابة على جملة من الإشكاليّات أهمّها:

أين يتجلّى المرجعي والتخييلي في رواية الجساس؟ وكيف أسهم التخييل في تقديم الأحداث التاريخية؟ وإلى أي مدى وفقت الروائيّة في ذلك؟

للإجابة عن تلك التساؤلات الافتراضية كان من المنهجيّ أن تتّبع الدّراسة المنهج الإنشائي سبيلا للقراءة والتّأويل. كان ذلك عبر مدخل ومحورين. خُصّص المدخل لوضع مصطلحي المرجعيّ، والتّخييليّ في إطاريهما من المبحث النقديّ، ثم كان المحور الأول كشفا عن تجلّيات المرجعيّ في رواية الجساس في مستوى الأمكنة والأزمنة والشخوص. أمّا المحور الثاني فمتوجّهٌ به إلى درس تجلّيات التّخييليّ في الرواية في ذات المحاور التي تناولها البحث في القسم الأوّل.

ونشير ههنا أنّنا لم نجد دراسة علميّة مستقلة تناولت رواية الجساس بشكل عام، ولا وقفنا على ما اختصّ ببحث صلة الرواية بالمرجعيّ والتّخييلي. غير أن هناك دراسات اهتمّت بتلك بالثنائيّة في غيرها من الرّوايات، منها على سبيل الذّكر لا الحصر: جماليات الخطاب بين الواقع والمتخيل في رواية «الحفائر تتنفس» لعبدالله التعزي، عبد الرحمن خليفة الملحم، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، مصر، ج8، ع25، 2021، والواقعي والتخييلي في الرواية السعودية، إيمان عبد العزيز المخيلد، دار الانتشار العربي، نادي أبها الأدبي، ط1، 2022. ودراسة الدكتور قالط حجي العنزي، الموسومة بـ»المرجعي والتخييلي في الكتابة التاريخية حتى مطلع القرن الخامس الهجري»، مقاربة سردية تداولية، قالط حجي العنزي، دار كنوز المعرفة، جدة، 2022، والمرجعي والتخييلي في رواية حيا أو ميتا، دليلة شقرون، ع2، م18، 2023.

1-في مقاربة المفاهيم:

تكاد المعاجم اللغوية تتّفق على أنّ المرجعي يختصّ بالدلالة على الرجوع والعودة. فقد ورد في الصحاح للجوهري «رجع بنفسه رجوعا، ورجعة غيره رجعا.. والرجُعى: الرجوع. تقول: أرسلت إليك فما جاءني رجعى رسالتي، أي مرجوعها...» (الجوهري، 1987، ص. 216). ولم يخرج لسان العرب عمّا جاء في كتب اللغة والمعاجم العربية القديمة. فقد ورد «رجع يرجع رجعا ورجوعا ورُجعى ورُجعانا ومرجعا ومرجعة: انصرف...» (ابن منظور، 2003، ص. 190). ومع ما قد يتراءى من دقة الإصابة المصطلحية نظرا لفارق التحول في المعارف اللغوية بين قديمها وجديد الحياة اليوم فإنّنا نستوثق تكون دلالة المرجعي الاصطلاحية لا تقع بعيدا عن الغرض الذي قصدنا إليه في هذا البحث.

والمتأمّل في كتب النحو والبلاغة يلاحظ أنّ أصحابها يستعملون مرجع الضمير (عباس، 2008)، وكذا ما ورد عند عبد القاهر الجرجاني في ثنايا كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة حيث «لامس مفهوم المرجع بوعي معرفيّ باد، وذلك حينما ألمح كثيرا في كتاباته إلى مسألة المعنى الخارجي للسّمة. ومن عجب أنّه اصطنع مصطلح «المرجع» (في معرض حديثه عن معاني الألفاظ التي يتواضع الناس عليها) في عبارة: «ويرجع فيها إليه «لا يرجع» (مرتاض، 2010، ص. 380). فالإضافة التي قدمها عبد القاهر الجرجاني تزيد في اطمئناننا إلى السياق المنهجي الذي ننهج سبيله.

وما يمكن قوله ههنا أنّ مفهوم المرجع في الدراسات النقدية الحديثة، قد تباينت حوله الآراء وكلها تعمق مفهومه من غير أن تبطل أساسه، فمنهم من ينظر إليه على أنّه «ما تحيل إليه العلامة اللسانية سواء في العالم الحقيقي (الواقعي غير اللساني) أو في عالم الخيال» (خليل، 1995، ص. 122). ومنهم من ربط المرجع بالقارئ كما هو الحال عند تودروف Tazvitan Todorov وياوس Hans Robert Jauss، إذ ركّزا على العلامة التأويلية وإسهامات القارئ في تأويل النص وفك رموزه وإعادة بنائه وربطه بسياقه ومرجعياته التاريخية والثقافية والاجتماعية والسياسية... (سواعدية، 2021). ولم يخرج رومان جاكبسون عن غيره من دارسي هذا المفهوم، مفهوم المرجع، إذ كان من بين هؤلاء الذين اهتمّوا بهذا المفهوم (التمارة، 2013) ويبدو تثبيت الرؤية النقدية واضحا من ترسيخ إجراءات تداوليّة ذات وظيفة نقدية بعينها.

وخلاصة القول بشأن هذين المصطلحين هي أنّ المرجعيّ بصفة عامّة مجاله عالم الواقع، وأنّ الكاتب مهما « غلّب الجانب المتخيل على الجانب المرجعي، مطالب بأن ينزل الشخصيات والأحداث في إطار زمني ومكاني قوامه المشاكلة» (القاضي وآخرون، 2010، ص. 210). وهذا المنتظر من المبدع الروائي حيث يجمع بين المعطيين الموضوعي والفني كما هو الشأن في رواية الجسّاس.

واستكمالا لمعالجة دلالة ثاني المصطلحين اللذين عليهما مدار الاهتمام فإنّ مصطلح التخييلي، غالبا ما تذهب المعاجم اللغوية إلى أن مادة «خ ي ل» تعنى: الظنّ والتصوّر والاشتباه (ابن منظور، 2003) وقد ورد مفهوم التخييل في الفلسفة الأرسطية والعربية الإسلامية عند الفارابي وابن سينا وابن رشد (الربيعي، 2011). وتجلّى ذلك الإيراد في الدراسات البلاغيّة والنّقديّة. وكان عبد القاهر الجرجاني أبرز متناولي مفهوم التخييل وكان ذلك التناول واردا من جهة اختصاص الشيخ بالجانب الجمالي للبلاغة العربية. فقد قسّم المعاني إلى عقليّة وتخييلية. من حيث عني بالتخييلي «الذي لا يمكن أن يقال إنّه صدق وإن أثبته ثابت وما نفاه منفي، وهو مفتن المذاهب، كثير المسالك لا يكاد يحصر إلا تقريبا ولا يحاط به تقسيما وتبويبا، ثم إنه يجيء طبقات، ويأتي على درجات فمنه ما يجيء مصنوعا قد تلطف فيه واستعين عليه بالرفق والحذق، حتى أعطي شبها من الحق، وغشي رونقا من الصدق باحتجاج يخيل وقياس يصنع فيه ويعمل» (الجرجاني، 1991، ص. 267). فالتخييل عنده على طبقات ودرجات، ولا يخضع لمعايير الصّدق. حيث تتناسب درجات الإدراك مع الكيفيات التي يوضع عليها التوظيف.

أما حازم القرطاجني فلم يُغفل التعريج على موضوع التخييلي على اعتبار أن الموضوع يستغرق فلسفته الجمالية، وإنّ أهمّ إشارة كانت تعريفه التخييل على أنّه «أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير روية إلى جهة الانبساط أو الانقباض» (القرطاجني، دت، ص. 89)، ولا يمكن أن يخفى على المتفكّر كيف أن مفهوم حازم للتخييل مرتبط بوضوح بوازع الانفعال بالمعاني التخييليّة، فالانبساط والقبض هما عاملا قياس الانفعال بما يمكن الوصول به إلى عاملي الحركة والسكون اللذين هما المؤثران في اللسان والحسّ لدى كلّ انفعال بالأدبية أو الشعريّة.

وإجمالا، فإن مصطلح التخييل واشتقاقاته في العصر الحديث، وعلى الرغم من اتساعه في مفاهيم عدد من الدارسين فإنّه لا يكاد يبتعد عمّا رسّخه القدماء. فهو في نظر الدارسين المحدثين، وإن اعتمد على الخيال والتخييل في تصوير الواقع، فإنّه يخالفه وإن حاكاه (القاضي وآخرون، 2010) وبعبارة أكثر وضوحا، إنّ التخييل يرتكز على «إثارة أشياء غير موجودة بواسطة اللّغة، أو محاكاة أشياء موجودة أو إثارة نوع من الإيهامات أو التمثلات التي تتوجه إلى الأشياء وتربطها باللحظة التي تتمثلها فيها الذات، فتصبح عملا مقصودا يجسّد وعيا بغياب أو اعتقادا بإيهام» (بلعلى، دت، ص. 17)، فالمعطيات الفنية أو الأدبية تبلغ أوج الإبداع بحسب مقاربتها للواقع عن طريق التشبيه أو الإشارة أو التصوير أو الإغراب في الحكي.

2–تجليات المرجعي في رواية الجساس:

لما كانت غاية الروائيّة في روايتها تسليط الضّوء على الدولة السعوديّة الأولى، ولما كانت الرواية في جانب منها ميّالة إلى الاهتمام بذلك التاريخ من جهة ثبته في النصّ أوّلا وفي وجدان المتلقي لذلك التّاريخ البعيد ثانيا، لما كان ذلك كذلك كان لزاما على الروائيّة استرفاد معطيات مرجعيّة تثبت ذلك التاريخ، ونستطيع القول: إنّ تجليّات المرجعي في الرواية ظاهر في ذلك الثالوث القصصي المشار إليه سابقا ونقصد به الفضاء بعديه المكاني والزّماني والشّخوص القائمة بالأحداث في ذلك الفضاء.

أ– المكان المرجعيّ:

للفضاء المكاني أهميّة بالغة في العمل الأدبي، وقد تزداد هذه الأهميّة عند ربطها بمقصد الكاتب السّاعي إلى ترسيخ الأحداث بالواقع. فالمكان إذن ما عاد ههنا مجرد وعاء حاضن لتلك الأحداث، وإنّما بات علامة دالّة على مرجعيّته أوّلا وعلى مرجعيّة الأحداث ثانيا. ولقد اعتنت الروائيّة بالمكان في عملها من جهات عدّة، سواء من جهة إطلاق الاسم على الأماكن، أو من جهة التّدقيق في سمات تلك الأماكن وضبط مصادرها. ويمكننا القول: إنّ هذا الإجراء من النّاحية العمليّة يستجيب كما سنرى إلى ما يعرف بالقصص التاريخي. فالمكان إذن نعتبره من «أوّل العناصر المساهمة في تحديد نوع القصّة.. وكذلك في تحديد طابع النّوع (واقعي، خيالي...)» (قسومة، 2015، ص. 76) فالتسجيل أو التوثيق للمكان علامة جغرافية لا يمكن أن ينتهي الغاية من الإبداع الروائيّ عنده، فالمجازيّ محتاج دائما إلى المرتكز الواقعي، وتلك طبيعة ربّانية لنموّ المعارف وتطورها.

يطبع تعدّد المكان رواية الجسّاس، فالأماكن على تعدّدها وتفاوت قيمتها الظرفية لا تستهلك مقروئية الخطاب الروائيّ، ولا تقلل من جاذبية إيقاع أحداثه. ولقد تنقّلت الرّوائيّة بالقارئ تسجيليّاً بين أماكن موجودة فعلا في الواقع من مكة إلى بادية الجساس ثمّ الدرعية، وهو ما يسهم في توثيق الأحداث التي دارت رحاها في تلك الفضاءات من ناحية، ويجذب إليه القارئ ثانيا لإدراك أحداث الدولة السعودية الأولى، فطبيعي إذن «أن أيّ حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين» (الحمداني، 1991، ص. 65)، فالمكان في سياق السرد الروائي ينزع عنه الشكل الوثيقي متخطّيا المعقول إلى الافتراضيّ، والواقع يستوعب كلّ متخيّل حتى لا يبقى ظنّ إلا واستُفرِغ إيقاعه.

لقد دارت أحداث الرواية في ثلاثة أماكن كبرى واقعية. والمكان الأبرز الذي له حضور تاريخي هو مكة المكرمة. فهي «مكّة» كما وردت في النصّ القرآني في قوله تعالى: (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) سورة الفتح، الآية 24، وهي مكّة في كتب التاريخ (الفاكهي، 1994). وبالعودة إلى الرّواية نجد أنّ المكان مكة قد ارتبط بأحداث ولادة الشخصية الرئيسة جبير، إذ خرجت والدة جبير به من قصر الشريف بمكة بسبب عدم اعتراف والده به، نظرا لاختلاف لونه، قائلا «أعوذ بالله، ولد رقيق» (الرمال، 2023، ص. 11). فالمكان ههنا كان شاهدا على أحداث تاريخيّة دارت رحاها فوقه. فارتبطت مكّة ببيع الرقيق في سوق النخاسة آنذاك، فعندما طرد والد جبير ابنه جبير وحاول قتله، لجأت به والدته إلى ساحة الحرم وأفلتت قبضتها من يده، دافعة به بين الحجيج والمعتمرين. وكانت ساحة الحرم الملجأ والحل الأخير بالنسبة لوالدته. هنا بدأ المنعطف

الجديد في حياة جبير، إذ أمسكت بيده زوجة أبي عوض سائلة إياه «وش اسمك، تقولها بعينين مشرعتين — جبير

- مع مين كنت؟
- مع أمي، بس تركتني واختفت
- وين راحت؟

ما أدري.. قلتها وأنا أتلفت حولي « (الرمال، 2023، ص. 31). أورد جبير هذا الحوار بينه وبين زوجة أبي عوض مع ما يمرّ به من ضيق وحزن وفقد وخوف من المصير. ولمزيد ثبت المكان في الواقع، عمدت الروائيّة إلى إقحام أمكنة فرعيّة تربطها بالمكان الأمّ وشائج من جهة سعيها إلى الإلمام بالبيئة الحاضنة لتلك الأحداث، فنجد إشارة إلى المسعى وسوق الرقيق في قولها: وهناك « أشار عليه أحد الهنود أن يعرضني في سوق الرقيق في أطراف سوق سويقة قرب الحرم، حيث يقوم به شيوخ لبيع وشراء الرقيق وسيتولون أمري « (الرمال، 2023، ص. 36).

أمّا المكان المرجعي الثاني فتعلّق ببادية الجسّاس. وجد له مثيرات موضوعية وواقعية تمثّلت في أحداث العار. فلم يكن المكان الجديد الذي انتقل إليه جبير– أي بادية الجساس– رحبا آمنا، بل كان في السوء يشبه ما مرّ به في مكة، فحين اتجهت قبيلة الجساس لمناصرة الدولة السعودية ضد الشريف في مكة، حصل أن تعرضت نساء القبيلة لهجوم من قبيلة أخرى، قتلوا ما وجدوه من بقية الرجال، وسرقوا نعالهم. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل إنّ حقد ابن عم أبي عوض عليه كان شديدا، إذ تمخض عنه اعتداؤه على حسنة ابنة أبي عوض ظلما وبهتانا ليلصق بها مذمة العار وانتهاك الشرف. فحين عادت من مهمة جمع الحطب عرض لها ذاك الرجل، وما كان منها إلا أن طعنته وأسالت دمه. الأمر الذي ألحق شواهد من دمه على لباسها، إلا أنها مع ذلك اتهمت ظلما وبهتانا من قبل أهلها وقبيلتها في شرفها. وهنا حاول والدها غسل هذا العار والتخلص منها بقتلها. يذكرنا هذا بمحاولة اعتداء والد جبير عليه وقتله والتخلص منه. هذا الحادث وإن لم تمت حسنة إذ سنراها مرة أخرى في قادم الرواية، اضطر جبير بسببه أن يغادر مكان هذه القبيلة ويتجه إلى مكان جديد آخر في حياته ألا وهو الدرعية.

والمكان الواقعي الثالث هو الدرعية، وكان مرتبطا بأحداث سقوطها (العثيمين، 1434). فقد مكث جبير في الدرعية سبع سنوات، تلتها أحداث جسام لا في الدرعية فحسب، بل في أماكن من الجزيرة العربية وبالأخص الحجاز، إذ بدأ تهديد العثمانيين بقيادة والي مصر محمد علي باشا، الأمر الذي رغم صمود الدولة السعودية ومحاولة الإمام عبد الله بن سعود عقد صلح مع الدولة العثمانية إلا أنه وبسبب تنكر والي مصر للصّلح سقطت مكة بيد العثمانيين. لم تقف الحرب عند هذا الحدّ، بل إن والي مصر محمد علي باشا جيش الجيوش، وعين ابنه إبراهيم باشا قائدا لمقاتلة السعوديين، ومحاولة القضاء عليهم حتى الهزيمة، نتج عن ذلك الزحف السيطرة على مدن كثيرة من أراضي نجد، وهو ما أحدث اضطرابا كبيرا في نجد. ولقد تفككت على إثره الأسر ونتج عنه تراجع المخزون الغذائي، والملاحظ أن التكثيف التاريخي يختبر المستوى التخييلي في الخطاب؛ حيث ينتظر القارئ مدى تمكن الروائي من الاحتفاظ بخيط الرؤية الفنية فلا يضيعه من سياق البناء الفنّي.

كان جبير شاهدا على فظاعة جرائم العثمانين، وسوء معاملتهم لأهل القرى التي كانوا يضربونها بالمدافع، ويقتلون الرجال ويشردون النساء، ويجلونهم إلى الدرعية من أجل زيادة التكدس السكاني في الدرعية والقضاء على المؤن. آنذاك بدأ الجيش العثماني يحاصر الدرعية من كل جهة، واستمر الحصار أشهرا، اشتد حماس جبير لقتال الأعداء إثر تعيين الإمام عبد الله أخاه فيصل قائدا للقوات، وحين حمي الوطيس ازدادت الأمور سوءا، مما أوقع مزيدا من الخراب والدمار والقتلى بين الطرفين، ونتج عن ذلك إثر استعانة الباشا بمدافع مصنوعة في أوربا كادت أن تسقط الدرعية سقوطا مدويا. سيما وقد قتل الأمير فيصل بن سعود، وتولى القيادة بعد أخوه تركي بن سعود إلا أنه قتل أيضا، واستمرت المواجهة بين الطرفين، ووصلت المعونات للباشا من العثمانيين، ونظرا لضيق الأزقة وتلاصق البيوت استطاع الجنود ذبح العثمانيين، وحينما خشي الباشا من تساقط جنوده رضخ للصلح، وهنا اشترط الباشا على الإمام عبد الله أن يسلم نفسه، وبدأ في قصف حصن طريف إلى أن أرسل مبعوثا للباشا للتفاوض وتوقف القصف، وسلم الإمام نفسه شرط أن يحفظ دماء شعبه، وألا يهدم الدرعية، وهنا يتجلى فعل العظماء، فقد فدى بنفسه حفاظا على شعبه، وقيد الإمام وساروا به إلى مصر، بعد ذلك وصل خطاب لإبراهيم باشا من أبيه بترحيل آل سعود وأسرهم إلى مصر، وهنا استطاع بعضهم الهرب، وانتهت الحرب.

لقد نهض المكان بما احتواه من أحداث بدور محوريّ من جهة تحكّمه في حركة الأحداث، فالمكان ههنا لم يمكن له «قيمة في ذاته، إنّما اكتسب قيمته من تحرّك الشّخصيّات فيه» (البحراوي، 1990، ص. 60). ولقد أكد هنري متران على أنّ» الفضاء المكاني هو أحد العناصر الفاعلة التي يقوم عليها العمل (القصصي)» (قسومة، 2015، ص. 77). ومن هذا المنطلق كان المكان الأوّل مكّة والدرعيّة وبادية الجسّاس مواقع ربطت الرّواية بمرجعها من جهة الإشارة إلى كبريات الأحداث التي دارت فيها أوّلا، ومن جهة التّحديد الدّقيق لتلك المواقع ثانيا، وهنا يجتمع القطبان :المرجعي والتخييلي في النص، ومن ثم يتمخضان للتعبير عن أحداث تاريخية خارج نص الرواية، جنبا إلى جنب مع الخطابات الأخرى لينتج عن ذلك التعالق بناء تتوحد فيه أجزاء النص في أسلوبه العام، كل هذا وغيره يؤكد أن «إثارة الأشياء الواقعية في عمل تخييلي تمتلك دورا مضاعفا، فهي تحيل على موضوع واقعي، كما تسهم في تطوير المحكي» (MACDONALD.1992, P. 99) الأمر الذي يشي بمدى أهمية استلهام التاريخ بما فيه من شخوص وأحداث في الإسهام في بناء النص الروائي.

واتساقا مع ما سلف بسطه من إشكالات التناغم الوظيفي بين المؤدّيين التخييلي والتاريخي فإنّ في الإمكان القول: لم تكن الغاية من استلهام أحداث الدولة السعودية الأولى مجرد «الإحساس بمصداقية الأحداث المحكية لدى القارئ فقط، بقدر ما هو توظيف عضوي يجعل الحدث التاريخي عنصرا فاعلا في صيرورة الوقائع الحكائية، من خلال إسهاماته الإيحائية المباشرة في تطويرها، وبذلك يرتبط التاريخي بالزمن الحكائي في علاقة وطيدة، يصعب معها الفصل بينهما، دون الإساءة لبنية العمل الروائي ككل» (بوطيب،2017، ص. 365).

والمتأمل في أحداث الرواية يلحظ أنها جاءت بصورة ذات حبكة دائريّة، ارتبط آخرها بأوّلها، وعادت نهايتها على بدايتها بشكل انعقادي يستولي على المبدأ والمنتهى معا، وتلك مزيّة إبداعية واضحة هي من الإضافات الفنية التي يحتفل به الخطاب الروائي، كما يمكن النظر إلى الإيقاع التدويري على أنه حلية فنّية لجذب للقارئ، واستمالته وتوثيق صلته بمقروئية الرواية، والتفاعل مع أحداثها ، ففي البداية يكون جبير عالقا في الغار»في هذا الغار، أقحم جسدي به عنوة كي أنام، من ضيقه لا أملك القدرة على التحرك أو الالتفات، أحشر نفسي مدفوعا بكل جسدي حتى تكاد أضلعي تتداخل بعضها مع بعض، أسمع حشرجة الصخور تتفتت كلما زحفت بثقل إلى داخله، أبذل جهدا مضاعفا لأحرك قدمي العاريتين، أتحسس بها جذع الشبرم الشائكة، أسحبها للداخل وأغلق بها فوهة الغار، أقاوم أوجع نغزاتها، وأبتلع صراخي، ولا أعلم ما الذي يؤلمني تحديدا، تمزق لحمي من الشوك، أم ضيق المكان، أم جحيم الظلام» (الرمال، 2023، ص. 8).

لا شك في أن هذه البداية تثير أسئلة عديدة عند المتلقي، من هو الشخص العالق في الغار؟ وأين موقع الغار؟ وهل سيخرج من الغار؟ وما قصة هذا الشخص؟ وغير ذلك من التساؤلات المغرية بمواصلة القراءة والعكوف عليها توصّلا إلى استيضاح الإجابة على كثير من الألغاز الفنية المنسوجة في نسيج الخطاب.

وتنتهي الرواية بذكر الغار حين هرب جبير من الذئاب، «شاهدت غارا ضيقا بين الصخور أمامي، اندفعت نحوه على ظهري، وحنيت رأسي للخلف، وبدأت أزحف داخله، في هذا الغار أقحمت جسدي عنوة، من ضيقه لا أملك القدرة على التحرك أو الالتفات، أحشر نفسي مدفوعا بكل جسدي حتى تكاد أضلعي تتداخل بعضها ببعض، أسمع حشرجة الصخور تتفتت كلما زحفت بثقل إلى داخله، أبذل جهدا مضاعفا لأحرك قدمي العاريتين، أتحسس بها جذع الشبرم الشائكة، أسحبها للداخل وأغلق بها فوهة الغار، أقاوم أوجاعي ونغزاتها، وأبتلع صراخي، ولا أعلم ما الذي يؤلمني تحديدا، تمزق لحمي بالشوك، أم ضيق المكان، أم جحيم الظلام» (الرمال، 2023، ص. 216).

إن الغار مكان مغلق يحيل على معاني الضيق والوحشة، والظلمة والمعاناة، والأماكن المغلقة «تحدها جهات معينة وتتعلق على أسرارها الخاصة، فتشعر الشخصية وهي بداخلها بالأمان كالبيوت، أو بالخوف كالسجن» (الحراحشة، 2021، ص. 236)، ثمّ إنّ لدلالات الغار فاعليتها المعرفية في التاريخ الإسلامي كما في سورة التوبة الآية أربعون: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا). سورة التوبة، الآية 40.

ب– الزّمان المرجعيّ:

يعد الزّمن عنصرا مهما في بناء النص السردي، بما يمثّله من عامل موضوعي لاستيعاب متحرّكات الرواية، حيث لا يمكن للأحداث الانفكاك منه، بما في ذلك الأحداث والشخصيات، وقد تكون فاعليته الوظيفية متجاوزة حساب الزمن إلى إجراء «تصميم شخصيات العمل الأدبي وبناء هيكلها، وتشكيل مادتها وأحداثها» (يقطين، 1989، ص. 10). حيث لا يمكنها التعلّق بالفراغ. والأزمنة مختلفة منها ما هو حاضر وما هو استشراف للمستقبل، وما هو ماض في التاريخ. وحيث إنّ الزمن التاريخي يمثل مقابلا خارجيا يستثمره الروائيون في إسقاط عالمهم التخييلي عليه (قاسم، 1984). الزمن الروائي لا تستوعبه عقارب الساعة، ولا يتقيد بتراتبية الواقع المعيش.

أما في الرواية التي نص عليها عنوان البحث هنا فلاحظ ارتباطه بتاريخ ولادة الشخصية الرئيسة «جبير»، وبه ارتبطت، ولئن كان هذا الزّمن خاصّا بالشخصيّة كما أشرنا، فإنّه من جهة أخرى زمن عامّ يشير إلى ميلاد الدولة السعودية الأولى. فمن هذه النّاحية يستمدّ الزّمن مرجعيّته التاريخيّة في ارتباطه بميلاد الدّولة السعوديّة الأولى، ويوثّق زمن الأحداث في الرواية.

وإذا ما رام الباحث تقصّي الزمن المرجعي في الرواية، نال ضالّته بيسر بالنظر في تنزيل الأحداث في نقطة زمنيّة دقيقة من التّاريخ، وآية ذلك كما حدّدها الصّادق قسومة هي توظيف وسائل التّاريخ المعروفة مثل : اليوم والشّهر والسّنة (قسومة، 2015)، ومثال ذلك ما ورد في الرواية «عام 1208هجري، 1793 ميلادي: ها أنا جبير... ولدت بمكة المكرمة، من نسل أحد وجهاء مكة، ومن رحم جاريته من العبيد» (الرمال، 2023، ص. 11)، والإشارة الثانية المرتبطة بنهاية الأحداث «عام 1233 هجري 1818 ميلادي استمر حصار الدرعية أشهرا، عين من خلالها الإمام عبد الله أخاه فيصل قائدا للقوات» (الرمال، 2023، ص. 151). ومما ينبغي الإشارة إليه أن أحداث الرواية تدور بين العام 1208 هـ الذي تأسست فيه الدولة السعودية الأولى، والعام 1233هـ مشعرا بحصار الدرعية عدة أشهر، ومؤذنا بنهاية الدولة السعودية الأولى.

وهذا الأمر يدل على أن ذكر هذه الأزمنة لم يكن اعتباطيا، وإنّما م المتوخّى منه توثيق الأحداث في مرجعها، أي: إنّ «هذا التوثيق بذكر الاسم والسنة والشهر واليوم من شأنه أن يضفي على السرد إيهاما بالمصداقية أو الواقعية من خلال قوة الإحالة المرجعية على الوجود الحقيقي بقوانينه وطبيعته وأعرافه، فيخال

القارئ نفسه في عالم قريب يكاد يحاكي واقعه الفعلي» (شقرون، 2023، ص. 187).

ج- الشّخوص المرجعيّة:

الشخوص المرجعية هي « التي ينشئها صاحبها انطلاقا من شخصيات ذات وجود فعلي في التاريخ، وهذه المرجعية التاريخية تتفرع إلى عدة أنواع، كالسياسية والدينية والثقافية...» (هامون، دت، ص. 68) وقد اعتمدت الرواية في تقديم أحداثها وبنائها على شخوص واقعيين لهم حضور في الواقع كما أثبتته كتب التاريخ.

واللافت للنظر في رواية الجساس هو كثرة الشخوص المرجعية، وتكاد تختصّ بالأمراء والقادة والحكام، وهؤلاء الشخوص كانت لهم أدوار فاعلة سواء في بناء الأحداث أو في تفاعلها مع الشخوص الآخرين دفعا لتنامي تلك الأحداث.

وقد تنوع حضور هذه الشخوص التاريخية، فتارة وردت بشكل مجمل دون تفصيل ودون ذكر الاسم كوالد جبير «أحد وجهاء مكة» (الرمال، 2023، ص. 11) وقد انعكست في الخطاب الروائي هنا بصورة شخصية ظالمة مستبدة، تملك المال والجواري «خرجت الجاريات من الداخل، أربع جاريات: اثنتان أثيوبيتان هما الأكثر قربا لوالدي، وحبشية بجسد محبب لديه، وتلك الهندية الفاتنة التي اشتراها مؤخرا من سوق النخاسة» (الرمال، 2023، ص. 26) ووصفت الشخصية وصفا يدل على وجهة نظر تعبيرية توحي بشدة الظلم والجبروت التي اتسمت بها شخصية والده، فعندما ذهبت والدة جبير به إلى قصر والده «خرج... من خلفهن بعينين شرستين ولحية ناشزة يلف عمامة فوق رأسه، ويتلفت حوله وقد استشاط غضبا... لمع الشرر في عيني والدي مهددا متوعدا، وأمر خدمه بقتلي وهدر دمي وكأنني عار ألاحقه» (الرمال، 2023، ص. 26) استعملت الشخصية الرئيسة جبير الموجّهات التّعبيريّة (غضبا، مهددا، متوعدا)، التي أسهمت جميعها في بناء العالم المتخيَّل، واستهدفت توجيه المتلقي نحو الغرض التخييلي المقصود من الرواية.

وتارة تذكر الشخوص المرجعية التاريخية بأسمائها، ومن الشخوص التي وقفت عندها الرواية شخصية والي مصر محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا، وقد ظهرا بصورة شخصيتين ظالمتين مستبدتين، واستعان الراوي بالصفات المعنوية التي تبرز ملامح هاتين الشخصيتين، من تهديد، ونقض الصلح، والعنف، والاحتلال. يتمثل التهديد في قول الروائية على لسان جبير: «بعد مرور سبع سنوات استيقظ الناس في الدرعية على تهديد العثمانيين المعتدين لهم بقيادة والي مصر محمد علي باشا» (الرمال، 2023، ص. 143)، ونقض الصلح فعندما عقد الإمام عبد الله «صلحا مع قائدهم طوسون، إلا أن والي مصر محمد علي باشا تنكر لصلح ابنه طوسون، ورأى أن مصلحته في محاربة الدولة السعودية وإنهائها» (الرمال، 2023، ص. 144) ، والعنف والاحتلال في الرواية «وبعنف غير مسبوق، زحفت العساكر المؤلفة من الترك والألبان والمرتزقة من كل الأقطار والألوان، وكان هدفها الوصول إلى الدرعية والقضاء على الدولة السعودية» (الرمال، 2023، ص. 145).

وتعد شخوص أمراء آل سعود وحكامها من الشخوص التاريخية الفاعلة في الرواية، إذ ذكرت أعمالهم ومواقفهم وصفاتهم من صدق وتضحية ومقاومة ودفاع عن الوطن، فقد «قاوم الأمير فيصل بن سعود قائد القوات السعودية بشدة حتى قتل» (الرمال، 2023، ص. 158)،» وتولى القيادة أخوه تركي بن سعود لكنه قتل أيضا» (الرمال، 2023، ص. 158)، وعندما رأى الإمام عبد الله «أن المقاومة أصبحت عبثا وستهدم القذائف الحي وتساويه بالأرض وتقتل النساء والأطفال. فأوقفنا الإمام عبد الله وأرسل مبعوثه للباشا يبلغه باستسلامه والتفاوض معه، فتوقف القصف على الحي» (الرمال، 2023، ص. 160). كما أن من صفاتهم الفداء بالنفس مقابل الحفاظ على دماء الشعب، فقد «أدرك الإمام عبد الله أن لا حيلة له سوى الاستسلام، لذلك طلب منه على الفور ألا يعتدي على شعبه ويحفظ دماءهم» (الرمال، 2023، ص. 161). وهنا وجهة نظر تعبيرية على لسان الشخصية الرئيسة جبير ومن خلفها الرواية المؤلفة، «فما قام به الإمام عبد الله من تسليمه نفسه مقابل سلامة شعبه لا يقوم به سوى رجل عظيم، فأراد أن يفدي بنفسه وهو ينظر إلى الأطفال خلفه، والذين يستحقون الحياة الكريمة، فباع روحه من أجلهم؛ ليظل عمله شاهدا على فعله المقاوم الجدير بالرجال العظماء» (الرمال، 2023، ص161). فالأحداث التاريخية العظيمة كانت كفيلة بإمداد الجوانب الفنية بمسوّغات الأبعاد الفنية، فالإطار التاريخي بعمق مرجعيته يوفر للروائية فضاء تفاعليا أوسع، يزيد من التعالق والتواشج بين التاريخي والمتخيّل.

3-التخييلي في رواية الجساس:

من المعلوم بالضرورة أن غاية الأديب الأساسيّة لا تنحصر في نقل الواقع في نصوصه بشكل يكون النصّ مرآة عاكسة للواقع، وإنّما هو فنّان يروم إضفاء مسحة من الجمال على نصوصه الإبداعيّة. فالأديب ليس مؤرّخا رغم ما يوهم به متلقي نصوصه بالواقعيّة سواء ما تعلّق بالمكان أو الزّمن أو الشّخوص كما ورد سابقا. بعبارة أخرى رواية الأديب لا تعني قيامه بمجرّد تسجيل الأحداث والوقائع، «بل الرّواية ككلّ الأعمال الفنيّة مغالبة للزمن نستشفّ من خلالها ما نبتغيه من فضل وجمال لعالم الغد» (زايد، 1988، ص22). الأمر الذي يشي بأنّ النصّ الأدبي يعود في جوهره إلى وجهة نظر المبدع المتحكّمة في الأثر بصفة عامّة. وهنا تتراءى لنا بلاغة التخييل في الخروج بالنص الروائي من عالم الواقع وإنشاء عالم ممكن (عسيري، 2023) عبر التّركيز على تفاصيل وأمكنة وأزمنة دون غيرها (الكردي، 2006). وعلى هذا الأساس فإنّ النظر في تجليّات التّخييل في رواية الجسّاس هو بالأساس نظر في هذا الواقع الذي صيغ بشكل روائي. وقد حصرنا ذلك في الثّالوث التّالي: المكان والزّمن والشخصيّات.

أ- المكان:

لقد أخضع الكاتب المكان لاختيارات واضحة ترسخ غاياته وأهدافه، وتستجيب لوجهة نظره التي لأجلها أنشأ أثره الأدبي، فمن الأمكنة -على تعدّدها- ركّزت الروائيّة على أمكنة دون أخرى بما يخدم نظرتها العميقة للأحداث، فاختارت مكة وبادية الجسّاس والدرعيّة. ولجأت إلى تقنية الوصف الوظيفي (محفوظ، 2009). باعتباره «الطريقة التعبيرية الفنية المستخدمة لتقديم معنى أو معاني مختلفة إزاء موقف سردي معين، أو تجربة أو شخصية أو مكان معين داخل العملية السردية « (صحراوي، 1999، ص. 101). ولم يكن هذا التوظيف اعتباطيا فيما يبدو، وإنّما يدخل هذا الاختيار ضمن الوصف الوظيفي المتعلّق خاصّة بزواياه في المكان سواء بالإطالة حينا، أو الإيجاز حينا آخر، وقد ورد ذلك لأبعاد وظيفية تفسيرية ورمزية (جينيت، 1989) وإقناعية تأثيرية (هامون، 2003) على حدّ السّواء.

فمن الاختيارات المتعلّقة بالمكان ما لاحظناه من دقّة في الوصف الوظيفي الباعث على التّأثّر عند تتبّع تلك الأمكنة الفرعيّة المنحدرة من الأمكنة الكبرى المذكورة سابقا، ومن الإشارات نذكر الأمكنة التي مرّ بها جبير أثناء عودته إلى والده بسبب مرض والدته، وبسبب وقع الحرب الأهلية مثل: المروة، سوق سويقة، سوق بيع الرقيق، حي قرارة. يقول جبير الشّخصيّة الرئيسة في هذا الشّأن «ما دفع أمي إلى التقاط ذراعي والسير بي بخطى سريعة مرورا بالمروة، نحو سوق سويقة الضيقة نتجاوز أصوات البائعين من المتاجر، تشق طريقها حتى أطراف السوق بين نداء النخاسين الآتية من سوق بيع الرقيق، وطرقات الحدادين... لتصل بي إلى حي يدعى قراره، بقصوره الفسيحة ومبانيه المتقنة وألوانه المزخرفة ونوافذه العديدة» (الرمال، 2023، ص. 25). فهذا الوصف الدّقيق للمكان الفرعي يدخل ضمن ما يصطلح عليه بالتبئير (جينيت وآخرون، 1989)، فلا تعني من الأمكنة الروائيّة سوى ما يخدم عالمها السردي وحبكتها الفنيّة التي تستجيب هي الأخرى لوجهة نظرها بشكل عام. ويلاحظ التدقيق في الوصف للأمكنة الفرعيّة كذلك في سؤال جبير عن بيت العم إبراهيم «حتى أشار لي أحدهم أنه شاهده في سوق البجيري وسط الدرعية ومركز البلدة التجاري، دخلت السوق عبر مدخله الخاص في مكان مسقوف من الأعلى، بمحاذاة دكاكينه المتراصة بعضها ببعض بأبوابها الواطئة التي تغالب الزمن، يقابلها مثلها من الدكاكين في الجهة الأخرى، أسير بينهم في ممراتها الضيقة.. وفي أحد المفارق شاهدت العم إبراهيم» (الرمال، 2023، ص. 130). وهنا يلحظ أن توصيف الأمكنة وصفا دقيقا مؤثرا، الغرض منه التأثير في نفسية المتلقي، وجعله يتفاعل عاطفيا مع الأحداث التاريخية المستعرضة.

وتواصل هذا المنحى السردي التبئيري لوصف الأمكنة في مقاطع عديدة من الرواية، وخاصّة في تلك الفضاءات الموصوفة والمرتكزة على مقاطع سردية تفضي إلى نتيجة مؤداها فقدان الأمان لا في مكة وحسب، بل في بادية الجساس أيضا، من خلال تصوير الفتن التي وقعت هناك، ثم أخيرا في الدرعية ضدّ العثمانيين، وانتهاء بمأساة سقوط الدرعية وانتهاء الدولة السعودية الأولى.

هكذا إذن نسجت الروائيّة أمكنتها، وعبرت بها من مرجعها الواقعي إلى رحاب الفنّ المؤسّس على التّخييل. ولقد سعت الروائيّة جاهدة إلى خلق عناصر التّخييل عبر تقنية الوصف للتعبير عن أفكار؛ بغية الإقناع بالعالم المرويّ (القاسمي، 2017). غير أنّ «استنساخ العالم المرجعي يظلّ هدفا ينشد ولا يدرك» (العمامي، 2005، ص. 246).

ب- الزّمن:

لم تكن غاية الرواية بوصفها عملا أدبيا جماليا تسجيل الأحداث في زمن وقوعها، إذ لو كانت كذلك لتحوّلت إلى مجرد نصّ تاريخي توثيقيّ بعيدا عن الإبداع. يدلنا على ذلك تمكنها من العبور بالأحداث من مرجعها الواقعي إلى عالم الفنّ والتّخييل، واستثمارها لتقنيّات سرديّة عديدة خرجت بذلك الزّمن من سمته الطبيعيّة القائمة على التعاقب والتتالي، إلى زمن نعته الصادق قسومة بالزّمن الذّاتي (قسومة، 2015). ومن سمات هذا الزّمن كما حدّده الصّادق قسومة تنقّل صاحبه في تحليل الأزمنة بين الماضي ورسم المستقبل. وهو زمن سماته الانفعال الوجداني كلّما ابتعد صاحبه عن التدبّر الفكري (قسومة، 2015). وفي هذه الحالة «تبتعد الشّخصيّة عن زمن الناس المشترك المعيش مرتحلة في زمن خاصّ رحلة قد تقصر فتكون مجرّد ومضة ورائيّة عابرة، وقد تطول فتكون جملة حقب أو أزمنة متباينة المواقع، لكنّ الشّخصيّة تسترجع منها لمحات...» (قسومة، 2015، ص. 66).

وبالنظر في الرواية نلاحظ أنّ الروائيّة اعتمدت عدّة تقنيات من بينها تقنية التلخيص والاختزال في تعاملها مع زمن عرض الأحداث. وهذه التقنية «تعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرّض للتفاصيل» (لحميداني، 2000، ص. 76) ، فإن هذا التلخيص الاسترجاعي يختزل أزمنة ماضية وأحداثا عديدة في أسطر قليلة؛ تحقيقا لوظائف الراوي وغاياته.

ومن آيات تصرّف الرّاوية في الزمن ميلها إلى تلخيصه كما ذكرنا كما في قولها: «بعد مرور ستّ سنوات في الحجاز» (الرمال، 2023، ص21)، أو قولها: «بعد مضيّ شهرين من رحيل قبيلة الجساس، عاد الشيخ أبو عوض وفرسانه من الغزو بعد أشهر من القتال» (الرمال، 2023، ص. 99). وقولها كذلك: «بعد اثني عشر عاما قضيتها في البادية، وفي قلب القيلولة عدت أنا وحسنة من المراعي مبكرا» (الرمال، 2023، ص. 106).

لم يكن شغل الراوية ههنا التفصيل أو التّدقيق في التفاصيل المتعلّقة بالأحداث الممتدّة في تلك الأزمنة، وإنّما انتقت من الأزمنة ما يخدم غرضها من القول، لذلك لم تفصّل الأحداث التي جرت في الستّ أو السّبع سنوات أو في اثني عشر عاما، وإنما أشير إليها بألفاظ قليلة مكتفية بما له علاقة بالفكرة والغرض.

كما لجأت الروائيّة إلى توظيف تقنية الاسترجاع، بما هو « كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة» (جينيت، 1989، ص. 21)، أو بعبارة أخرى «الاستعادات التي يعمد إليها في القصة لغرض رواية أحداث تزامنت في وقوعها مع أحداث أخرى من القصة» (الحاجي، 2000، ص. 92). وفي هذا الاسترجاع «ربط حادثة بسلسلة من الحوادث السابقة المماثلة له» (ناصر، 2015، ص. 90). وفي هذا السياق تعود بنا الرواية إلى الخلف رويدا رويدا، فتذكر لنا مواطن فيها عودة إلى الوراء، منها على سبيل المثال لا الحصر: عندما احتفل الجنود العثمانيون بالانتصار، تتكرر الأحداث فيسمع جبير صراخ ابنة الجيران «قوت»، عندما اعتدى عليها أحد قادة العثمانيين، وهنا يتذكر قصة حسنة وصراخها، فيمسك الخنجر ويغرسه في ظهر العثماني وينقذ قوت، ففي ليلة اقتحم أحد العثمانيين باب قوت وأمها الكبيرة في السن، ثم سمع جبير صراخ الفتاة والعثماني «يصيح بنفس مغيظة.

– ها أنت ستكونين تحتي الآن يا ابنة الأعرابي، امنحيني جسدك وإلا قتلتك. ثم يأتيني صراخها وهي تستغيث،... كل الانكسارات الجارحة التي مرت بحسنة أيقظتني،... صرخت باسم حسنة ، ومسكت خنجرها، وهممت أركض نحو بيت الجارة..، بكل قوة غرست الخنجر في ظهره، وانتزعت الفتاة من قبضته» (الرمال، 2023، ص. 168). ولا شك أن العودة إلى حدث العار وما حدث لحسنة، يفيد التذكير بالمعاناة، وإثارة أحزان جبير وآلامه.

ما نخلص إليه ههنا أنّ تصرّف الرّاوية في الزمن بدا على وجوه عديدة ذكرنا بعضا منها لضيق المقام، وهذا التصرّف داخل ضمن ما يعرف بالزمن القصصي الذي يختلف عن زمن المغامرة المرجعي أو هو كما يسمه الصادق قسومة بالزمن الواقع موقعا ما من التّاريخ (قسومة، 2015) ، غير أنّ الاقتصار على حقبة دقيقة وجعلها إطارا للمغامرة اقتضى كما ذكرنا زمنا قصصيّا، وذلك من جهة أنّ كلّ قصّة هي في «وجه من وجوهها فترة متخيّلة لشخص أو لعائلة أو لمجموعة بشريّة...، والمنشئ يختار لها موقعا دقيقا من تلك الفترة التاريخيّة المجملة» (قسومة، 2015، ص. 63) وهو ما عبّرنا عنه بالقول بوجهة النظر المتحكّمة في العمل الروائي.

ج– **الشخصيات:**

قبل البحث عن وجوه التخييل في الشخصيّة، لابدّ من الإشارة إلى الفوارق بين مصطلح الشّخص الذي يحيل على كائن حيّ بالمعنى الفنّي، وبين الشخصيّة بما هي كائن ورقيّ (بارت، 1993) تُنشأ إنشاء بعبارة جيرار جينات، أو هي كائن انبثق من سمات وإشارات وعلامات ذات صلة بخطاب الراوي، فالشخصية إذن «من عالم الأدب أو الفنّ أو الخيال، وهي لا تنتسب إلاّ إلى عالمها ذاك» (قسومة، 2015، ص. 131).

وفي العموم، فالشخصيّة المتخيّلة في النصّ السردي بشكل عام قد تستلهم من شخص له وجود مرجعي كما هو الشّأن في رواية الجسّاس مع جبير خاصّة، فهي شخصيّة ذات مرجعيّات متصلة بالثقافة، ولكن بدخول تلك الشّخصية عالم السّرد تتحوّل عن أصلها، فيغيب التّطابق بينها وبين الشّخصيّة الأصليّة، وتُحمّل برؤى جديدة من صنع صاحبها، وفي الروايات التاريخية « تزاوج عادة بين الشخصيات التاريخية والشخصيات المتخيلة، إلا أنّ الأمر لا يقف عند هذا الحدّ، وإنّما يتجاوز إلى ظاهرة أخرى هي إسناد أعمال لا تاريخية إلى الشخصيات التاريخية، وأعمال تاريخية إلى الشخصيات المتخيلة» (الشمالي، 2006، ص. 233)، ومن الشخصيات المتخيلة التي ابتكرتها الرّواية وأسهمت في دفع الأحداث:

- **شخصية جبير:**

شخصية جبير من الشخصيات المتخيلة التي وظفتها الرّواية لأبعاد إنسانية واجتماعية وتاريخية، ورسمت ملامحها الخِلْقِيَّة حين قالت: «أتحسس أنفي المفلطح وشفاهي المقلوبة وأخمشها» (الرمال، 2023، ص. 14). وقد تثير هذه الشخصيّة السؤال عن سرّ اختيار هذه الفئة دون غيرها. لا شك في أن وراء اختيار هذه الفئة تحديدا أبعادا إنسانية، فهي فئة مهمّشة في المجتمع تعاني من الظلم والعنصرية. أرادت الرواية تسليط الضوء على ما كانت تكابده من مشقة وألم في تلك الفترة. وهنا تجاوزت الرواية الوصف الشكلي الخارجي، ووصل إلى الأبعاد الإنسانية والاجتماعية والفكرية آنذاك.

ولقد ركّزت الرواية على الملامح الخُلقية لشخصية جبير، إذ كان فارسا شجاعا. ومن الشواهد على ذلك أنه عندما استمرّ حصار الدرعية لعدة أشهر، وعين الأمير فيصل قائدا للقوات وزعهم على أبراج الدرعية، وكان جبير ممّن رابط قبالة جيش الباشا، وقد اختارهم الأمير «من أشجع المقاتلين وأكثرهم قوة» (الرمال، 2023، ص. 151). وعندما اشتدت الأحوال وكادت أن تسقط الدرعية خرج مع العديد من المسلحين لمواجهة العثمانيين»، وفي اليوم التالي خرجت مع مئات من المسلحين من جنودنا لمواجهة العثمانيين، فبدلا من الانقضاض على العدو من جهات عدة لتشتيت طلقاتهم، هاجمناهم من جهة واحدة» (الرمال، 2023، ص. 158). فقد قدمت الأحداث عبر شخصية جبير، وأسندت الروائية أفعالا تاريخية إلى الشخصية المتخيلة، ولا يخفى دلالة ذلك في إيهام القارئ بواقعية السرد، ويمكن قراءة فعل إسناد الأحداث التاريخية لشخصيات فنية على أن الخطاب الروائي يرمي إلى إعطاء الأدوار الوطنية الواقعية إلى أيّ شخص سعودي، ففي المنزع شيء من التبليغ الذي يحتاج إليه الوطن كلما دعت الظروف إلى ذلك.

لقد تحوّلت شخصيّة جبير من شخصيّة ذات مرجعيّة ثقافيّة كما أشرنا إلى شخصيّة محمّلة بأبعاد فكريّة تحيل على المعاناة بوجه عام، فقد عانت الظلم من أبيها، وعانت فقد الأهل، كما عانت ظلم المجتمع (العار) وما حدث لحسنة، وعانت الحروب والمعارك (سقوط الدرعية). صفات المعاناة والألم والفقد التي طبعت أحوال الراوي جبير دالة على إعمال بلاغة الترميز، وربّما امتدّ أثرها ليطال الاشتقاقات التوصيفية من جبرية وكل ما تدلّ عليه من اضطراب وتحوّل، وقد سمى تودروف هذا النوع

بالرمز الإنشائي الأدبي (الموساوي، 2018). فاكتسب جبير صفة الرمزية لأغراض فنية وجمالية ودلالية يمكن للاسمية أن تعين القارئ على توجيه دلالي مقصود.

ومن منظور قرائيّ لآخر فإن شخصية (جبير) تمثل فقدان الهوية، ثمّ تحمّل عناء البحث عنها جراء ذلك، فقد ولد من أحد وجهاء مكّة، قطع سبيل الاعتراف به وتركه معلّقا، ثمّ زاد من درامية الحدث بمحاولة قتله، ليظل باحثا عن دفأي العائلة والوطن، بين مكة وصحراء نجد والدرعية.

- **شخصية حسنة:**

حسنة من الشخصيات المبتكرة في الرواية. ولم تقف الرواية عند الوصف الخارجي لشكل حسنة كما فعلت مع جبير، وإنّما تصرّفت في وصفها تحقيقا لأهدافها من الرواية. وقد بدت على حسنة صفات القيادة والقوّة منذ صغرها، فعندما عادت وعائلتها من مكة إلى قبيلة الجساس في نجد، تعهدت جبير بحمايته وعدم السماح لأحد بالتعرض له، فحين اقتربوا من البيوت « التقطت حسنة سدر في الطريق وهي تدير لي ظهرها وتشير بها نحوي:

- اللي يقربلك بدس هالعصا بخشمه..

هرشت رأسي وأنا أفكر عن سبب ذلك:

- لا تخاف يالخبيل لفزع معك وهي تخبط بها الأرض حتى ثارت رملها» (الرمال، 2023، ص. 51).

كما أنه عندما أقبل أبناء القبيلة والتفوا حول جبير أشهرت «عصاها في وجوههم، وتتوعدهم بتكشيره فمها وجبينها المقطب، ثم بصقت في وجه أحدهم حين سمعت منه يناديني بالعبد» (الرمال، 2023، ص52). وبرزت مواقف حسنة البطولية وهي في سنّ لم تبلغ العشرين عاما، فعندما غاب والدها الشيخ أبو عوض وفرسان القبيلة لغزو الحجاز، وتعرضت القبيلة لهجوم الغزاة والقتل والسرقة، فقد ارتدت ثوب والدها وأمسكت ببندقيته، وكذلك عندما هاجمهم الذئب، وأطلقت عليه النار وفارق الحياة، وعلقته على مقدم خيمة والدها مقلوبا ودمه ينزف (الرمال، 2023).

وتعدّ شخصية حسنة رغم ذلك رمزا للمعاناة كذلك من ظلم المجتمع آنذاك، فقد صورت الظلم والمعاناة والأسلوب الذي كانت تتعامل به القبائل مع حادثة (العار)، ففي يوم خطبة أختها من قبيلة رميح عندما ذهبت لجلب المزيد من الحطب، اعترضها طايل ابن عم الشيخ أبو عوض، وجاء أحد الرعاة إلى مجلس الرعاة قائلا: «هيييه... هيييه يا لربع الحقونا، الحق ياشيخ أبو عوض بنتك حسنة اعتدى عليها طايل» (الرمال، 2023، ص. 114). من هنا بدأت معاناة الحادثة والظلم الذي وقع على حسنة جراء ظهور دماء طايل على جسدها، ما دفع والدها إلى غسل العار. فالتركيب الحدثي يتدخّل في بعض فصول الرواية؛ لتوتير السياق الموضوعي وجعل التسطيح ظاهرة موضوعية ظاهرة التعقيد، ولا يمكن للخطاب الروائي أن يغادر هذا التركيب المفتعل إلا باللجوء إلى إسباغ الفنيات المنقذة للسرد الروائيّ.

حسنة لم تمت وتظهر في آخر الرواية متمسكة بوعدها لجبير، فتخرجه من السجن، وتفك قيده، وتخبئه في بيتها حتى لا يعثر عليه الجنود. وعندما قرر جبير العودة إلى الحجاز وحنّ إلى ديار قبيلة الجساس التقى بحسنة وولدها صقر بن ذياب عند أم عوض.

وهنا تتراءى لنا مصداقية التعامل مع موضوع المرأة بكيفية أو أسلوب أو رؤية غير تلك الشائعة المستهلة لدي الخائضين في موضوعها، حيث تحتفظ الروائية بالهوية السعودية، تنظر إلى المرأة من منطلق الحفاظ على حقوقها، ثمّ لا تزيد في المبالغة على المتداول المستهلك في كثير من الكتابات الروائية الأخرى التي تقلل من شأن المرأة وتفقدها حقوقها الإنسانية.

وتختتم القصة بلسان حسنة: «القصة لم تنته بعد، فما زالت مستمرة... أحملها في داخلي، ولا أحد يعلم ما حصل لي، وكيف نجوت من رصاصة والدي، ومن عار كان يلاحقني، كل شيء ذكره لكم جبير ما عدا النهاية التي لم يكن يراها حتى الآن، أو لن يستطيع أن يراها بعد الآن، فما زال الغموض يلف حكايتنا، ولأن لدي رغبة شديدة بكشف كل الحقائق ستستمر القصة معي... حسنة» (الرمال، 2023، ص. 243).

- **شخصية أبي عوض:**

رسمت الرواية ملامح شخصية أبي عوض الخَلقية، فهو «رجل بأنف عظيم ولحية خفيفة، يلبس ثوبا أبيض، ويضع على رأسه غترة وعقالا» (الرمال، 2023، ص. 31). وكشفت عن هويته «سعودي من أهل نجد» (الرمال، 2023، ص. 34). وشخصية أبي عوض غدت في الرواية مثالا للرجل العربي البدوي الذي يتمتّع بالصّلاح والاستقامة والبرّ والكرم والأخلاق الكريمة، وحب الوطن، فقد قدم إلى مكة لأداء فريضة الحج مع عائلته، وعندما وجدت زوجته جبير بين الحشود، متسخا مداسا بالأقدام، وبحث أبو عوض عن والدته ولم يجدها قرّر أن يأخذه معه إلى أرض نجد، وأن يجعله ابنه، وعندما اعترضت زوجته على قراره هذا لم يسمع لها، وإنما أمسك ذراع جبير وقال:

«— أنا والدك « أبو عوض»، أنا من؟

- والدي

- وهذه أمك «أم عوض»، هذه من؟

- أمي

- وتلك أخواتك الأربع، الكبرى «جميلة» والوسطى «حسنة» والصغرى «شكيمة» والرضيعة «عمشة»

- هؤلاء من؟

- أخواتي

- ثم أفلت قبضة ذراعي من يده والتفت إلى زوجته:

- فهمتي الدرس؟ هذا الابن اللي تمنيته وما قدرتي تنجبينه» (الرمال، 2023، ص40-41). كما أنه عندما اعترضت القبيلة على جبير أسكتهم قائلا: «هذا بمثابة ولدي» (الرمال، 2023، ص.58).

كما أنه رجل كريم يستقبل الضيوف ويرحب بهم ويذبح لهم، من ذلك استقباله للضيوف بعد العودة من الحج « جزت الذبائح واختلط الدم بالتراب، وبدأ أبو عوض شيخ قبيلة الجساس يستعد لتجهيز وليمة العشاء، واستقبال الضيوف بعد عودتهم من الحج سالمين « (الرمال، 2023، ص. 56).

وشخصية أبي عوض جعلته الرّاوية رمزا للشجاعة، فهو المحبّ للوطن، والساعي إلى نصرته والدفاع عنه، من ذلك عندما أصابهم الجفاف والقحط «نوى الشيخ أبو عوض أن يذهب غدا مع فرسان القبيلة لغزو جديد؛ تلبية لنداء الوطن، ونصرة لدين الإسلام، وطلبا للغنائم في عام أصابه القحط والجفاف» (الرمال، 2023، ص69) «بدأ الشيخ أبو عوض مع أفراد القبيلة بتجهيز ركابهم والاستعداد لغزو الحجاز» (الرمال، 2023، ص80). لا يمكن للخطاب الروائي أن يستنفد زخم أحداث الواقع التاريخي والاجتماعي، والكتابة الروائية تعكس قدرة الروائي على استثمار معطيات الواقع بحيث يعرف كيف يستنطق التاريخ ويتفنّن في تقديم خباياه كما فعلت رواية الجسّاس.

الخاتمة:

في رواية الجساس تحاول الروائية تسليط الضوء على عهد من أحلك العهود التي مرت بها الجزيرة العربية خلال العهد العثماني ونائبه محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا والشريف باشا في مصر، والدولة السعودية الأولى في الدرعية، متخذة من التاريخ منطلقا لبناء نصّ إبداعي نسجت خيوطه من السّرد التّخييلي، فأشارت إلى المهمشين المستبعدين بأسلوب فنيّ، وكانت شخصية جبير الشخصية الرئيسة التي تخلصت من عبودية سابقة إلى حرية كاملة في العهد السعودي، متّكأ لتكوين عالم متخيّل يوهم المتلقي بمرجعه، بينما هو متعمق في التخييل. ولقد جعلت الرواية الأحداث مزيجا متجانسا بين المرجعي والتخييلي، ولكّنه مزيج يشي بقدرة صاحبة الرّواية على إنتاج عمل له أكثر من دلالة من جهة ما أثاره من قضايا سياسية واجتماعية وتاريخية في فترة الدولة السعودية الأولى. كما سلطت الضوء على الفئات المهمشة والمظلومة في المجتمع آنذاك.

ولقد أحال النص السردي على أماكن واقعية، منها: مكة وبادية الجساس والدرعية، وهي أماكن ذات وظيفة تاريخية بدرجة أولى من جهة ما تحيل عليه تلك الأمكنة من مرجعيّة واقعيّة، ولكنّ بعض تلك الأمكنة غادر مرجعه، وامتطى جادة الفنّ وحلق في فضاءات التّخييل من جهة ما أحال عليه من وجهات نظر خاصّة بصاحبه، فما عاد المكان الأصل بادية الجسّاس ومكّة والدرعيّة مكانا معلوما كما استقرّ في وجدان المتقبّل، وإنّما حمّلت تلك الأمكنة بطاقات تعبيريّة جديدة، ودلالات متكثّفة عبر خضوعها كما أشرنا إلى وصف تبئيريّ وظيفيّ بما يتواءم ومعطيات النص الروائي، وهنا تكمن عجائبية الجمع بين التخييل والواقع. ونستشف من تصور الأحداث والأماكن والأزمنة في فضاءات الرواية ارتكازها على مقاطع سردية تفضي إلى نتيجة مؤداها فقدان الأمان، لا في مكة وحسب، بل في تصوير الفتن التي وقعت في بادية الجساس، ثم أخيرا في الدرعية ضد العثمانيين، وانتهاء بمأساة سقوط الدرعية وانتهاء الدولة السعودية الأولى.

لقد نجحت الرواية في خلق عالم ممكن انبثق من كلمات ورموز كما ذهب إلى ذلك نيلسون غودمان (Nielson Goodman) (Goodman,1984, p. 224) وهو عالم أسهم في حفظ الإرث التاريخي الثّقافي وتقريبه من القارئ وزرعه في وجدان العازف عن قراءة كتب التاريخ، وإسهامه في خطاب الوعي برؤية إبداعية معاصرة، وهو ما يشي بجمالية الرواية وإبداعها من جهة جمعها بين المرجعي المثبت للوقائع، والتّخييلي الذي لا مناص منه في الرواية، حتّى لا يتحوّل النصّ الروائي إلى مجرّد نصّ مسجّل للأحداث بقدر ما يؤكّد الجوانب الفنيّة الإبداعيّة فيه. ويوصي هذا البحث بمزيد من الدراسات النقدية حول رواية الجساس.

المراجع:

ابن منظور، محمد. (2003). لسان العرب. (ط.2). دار صادر.

بارت، رولان. (1993). مدخل إلى التحليل البنيوي القصصي. (منذر عياش، ترجمة؛ ط. 1). مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر.

بحراوي، حسن. (1990). بنية الشّكل الروائي. (ط1). المركز الثقافي العربي.

بلعلي، آمنة. (د ت). المتخيل في الرواية الجزائرية: من المتماثل إلى المختلف. (ط2). دار الأمل للطباعة والنشر.

بوطيب، عبد العالي. (2017). الرواية الواقعية والواقع. (ط1)، منشورات دار الغشام.

التمارة، عبد الرحمن. (2013). مرجعيات بناء النص الروائي. (ط1). دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.

الجرجاني، عبد القاهر. (1991). أسرار البلاغة. [قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر]. (ط1). مطبعة المدني، ودار المدني.

جنيت، جيرار. (1989). حدود السرد. [تحقيق، بنعيسى بوحمالة]. ضمن كتاب، طرائق تحليل النص السردي، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب.

جنيت، جيرار، وآخرون، (1989). نظرية السرد من

وجهة النظر إلى التبئير. (ناجي مصطفى، ترجمة)، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي.

الجوهري، إسماعيل. (1987). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. [تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط.4). دار العلم للملايين.

جينيت، جيرار. (1989). خطاب الحكاية. (محمد معتصم وعمر الحلي، ترجمة؛ ط. 1). الهيئة العامة للمطابع الأميرية.

الحاجي، فاطمة سالم. (2000). الزمن في الرواية الليبية ثلاثية إبراهيم الفقيه نموذجا. (ط.1). الدار الجماهرية للنشر والتوزيع.

الحراحشة، منتهى طه. (2021). أنماط المكان في الرواية سيدات الحواس الخمس لجلال برجس. مجلة كلية الآداب، 81(2)، 207-247.

حسن، عباس. (2008). النحو الوافي، دار المعارف.

الحمود، علي محمد. (1434). الرواية التاريخية في الأدب العربي السعودي الحديث. (ط.1). فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

خليل، أحمد خليل. (1995). معجم المصطلحات اللغوية. (ط.1). دار الفكر اللبناني.

الذويبي، صابرة. (2015). وجهة النظر في رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ. (ط.1). دار محمد علي.

الربيعي، علي محمد هادي. (2011). الخيال في الفلسفة والأدب والمسرح. دار صفاء للنشر والتوزيع.

الرمّال، عبير. (2023). رواية الجسّاس. (ط.1). دار تشكيل للنشر والتوزيع.

زايد، عبد الصمد. (1988). مفهوم الزّمن ودلالاته، الدّار العربيّة للكتاب.

سواعدية، عائشة. (2021). المرجعيات في روايات محمد مفلاح. [أطروحة دكتوراه في الأدب العربي المعاصر، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات]، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة.

شقرون، دليلة. (2023). المرجعي والتخييلي في رواية حيا أو ميتا لمحمد صالح بوعمراني. مجلة الخطاب، 18(2)، 182-202.

الشمالي، نضال. (2006). الرواية والتاريخ – بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية. (ط1). عالم الكتب الحديث.

صحراوي، إبراهيم. (د ت). تحليل الخطاب الأدبي. (ط.1). دار الآفاق.

العثيمين، عبد الله الصالح. (1434). الدرعية نشأة وتطورا في عهد الدولة السعودية الأولى. دارة الملك عبد العزيز.

عسيري، عادل محمد. (2023). السعودية في الرواية العربية بين العالم الواقعي والعوالم الممكنة. دار الانتشار العربي.

العمامي، محمد نجيب. (2005). بحوث في السّرد العربي. مكتبة علاء الدين.

الفاكهي، محمد بن إسحاق. (1994). أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. [تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش]. (ط.2). دار خضر للطباعة والنشر.

قاسم، سيزا. (1984). بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القاسمي، زهير. (2017). مقال الواقعي والذّاتي في رواية «الملاح والسّفينة» لمحمد الباردي. دفاتر مخبر الشعرية. (5) 147-187.

القاضي، محمد وآخرون، (2010). معجم السرديات. (ط.1). دار محمد علي للنشر.

القاضي، محمد. (2008). الرواية والتاريخ: دراسات في تخييل المرجعي. (ط.1). دار المعرفة للنشر.

القرطاجني، حازم. (د ت). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. [تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة]. دار الغرب الإسلامي.

القرني، معيض بن عطيه. (2020). التبئير في رواية القندس لمحمد حسن علوان دراسة سردية تلفظية. مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، (8)، 407-431.

الكردي، عبد الرحيم. (2006). الراوي والنص القصصي. (ط.1). مكتبة الآداب.

لحمداني، حميد. (1991). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. (ط.1). المركز الثقافي العربي.

لحميداني، حميد. (2000). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. (ط.3)، المركز الثقافي العربي.

محفوظ، عبد اللطيف. (2009). وظيفة الوصف في الرواية. (ط.1). منشورات الاختلاف.

مرتاض، عبد الملك. (2010). نظرية النص الأدبي. (ط.2). دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

الموساوي، محمد علي. (2018). جماليات الرمز الديني في الشعر العربي المعاصر بين التأصيل والتأويل. الشركة التونسية للنشر.

ناصر، أحمد عبد الرازق. (2015). تقنيات السرد في روايات نجم والي. (ط.1). دار الشؤون الثقافية العامة.

هامون، فيليب. (2003). في الوصفي، تر، سعاد تريكي. (ط.1). المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة.

هامون، فيليب. (د ت). سيميولوجية الشخصيات الروائية، (سعيد بنكراد، ترجمة). تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار كرم الله للنشر والتوزيع.

يقطين، سعيد. (1989). تحليل الخطاب الروائي. المركز الثقافي العربي.

al-Ḥarāḥishah, Muntahá Ṭāhā. (2021). Anmāṭ al-Makān fī al-Riwāyat Sayyidāt al-Ḥawāss al-Khams li-Jalāl Barjas. (in Arabic). Majallat Kullīyat al-Ādāb, 81 (2), 207-247.

Al-Qasmī, Zuhair. (2017). Maqāl al-Wāqi‘ī wa al-Dhātī fī Riwāyat “al-Mallāḥ wa al-Safīnah” li-Muḥammad al-Bāridī. (in Arabic). Dafātir Makhbar al-Shi‘rīyah. (5) 147-187.

Al-Qarnī, Mu‘idh bin ʿAṭiyyah. (2020). Al-Tab’īr fī Riwāyat al-Qundas li-Muḥammad Ḥasan ‘Alwān Dirāsah Sardīyah Talafuẓiyah. (in Arabic). Majallat al-Ādāb lil-Dirāsāt al-Lughawīyah wa-al-Adabīyah, (8), 407-431.

Goodman, N.:(1984). Of Mind and other Matters,CambridgeMA:Harvard UPMacdonald ; M, (1992). Le langage de la fiction ; in esthétique et poétique ; coll: Point

Sawa‘idiyya, ʿAisha. (2021). al-Marji‘īyāt fī Riwāyāt Muḥammad Miflāḥ. (in Arabic). [Uṭrūḥat Duktūrāh fī al-Adab al-‘Arabī al-Mu‘āṣir, Qism al-Ādāb wa-al-Lughah al-‘Arabīyah, Kullīyat al-Ādāb wa-al-lughāt], al-Jazā’ir, Jāmi‘at Muḥammad Khayḍar be-Sakrah.

Shaqrūn, Dalilah. (2023). al-Marji‘ī wa-al-Takhyīlī fī Riwāyat Ḥayyan aw Mayyitan li-Muḥammad Ṣāliḥ Bū‘amrānī. (in Arabic). Majallat al-khiṭāb, 18 (2), 182-202.

University of Hail

Journal of Human Sciences
At Hail University

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

Seventh year, Issue 24
Volume 1, December 2024

Arcif
Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658